Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرد على النصارى

لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري

المتوفى في القرن السابع الهجري

حققه وقدم له

الدكتور محمد محمد حسانين

الأستاذ المساعد بجامعتي بنى غازى وقطر

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

0124119

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرد على النصارى

لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري

المتوفى في القرن السابع الهجري

الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
الإسكندرية
رقم التصنيف 297.283
رقم التسجيل 18792

حققه وقدم له

الدكتور محمد محمد حسانين

الأستاذ المساعد بجامعتي بني غازي وقطر

الناشر
مكتبة المدارس
الدوحة - قطر ص.ب ١٦٨٠
تليفون ٤٢٧٠٨٥

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر ٣ حي رضوان الموصلي بجوار جامع الدعاء
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تعالى على الفراغ من تحقيق المخطوط المعنون : الرد على النصارى ، لمؤلفه : « ابو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى » .

والى جانب الجهد الذى بذلناه فى تحقيقه ، فقد قمنا ، اتماما للفائدة ، بالتقديم له بدراسة عن المخطوط ، ومؤلفه ، وعن الجدل الاسلامى المسيحى ، ومناهجه ، وقيمته ومنزلة المؤلف منه .

وقد قمنا كذلك باثبات بعض المراجع التى رجعنا اليها باللغة العربية ، او باللغة الفرنسية اذا كانت لم تترجم الى العربية او كان رجوعنا الى الأصل الفرنسى منها ، كذلك فقد قمنا باثبات جميع النصوص الذى ذكرها المؤلف من كتب العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم ، ونبهنا الى عدم وجود النص فى الكتب المشار اليها عند عدم العثور عليه ، كذلك فقد اشرنا الى أماكن وجود الأحاديث الواردة فى سياق النص فى كل من صحيح البخارى وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الصحاح دون أن نحقق درجة صحة كل حديث الأن ذلك يقتضى تخصصا دقيقا لا ندعيه . ونعتقد بذلك اننا قد أبرزناه فى صورة تسهل على القارىء الاستفادة منه .

نرجو الله أن ينفع به ، وهو ولى التوفيق .

د . محمد محمد حسابين

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المخطـــوط

كان من الطبيعى أن يدفعنا الاهتمام بنشر هذا المخطوط الى البحث بغية الوصـــول الى معلومات محددة عن مؤلفه وعن المكان أو الأماكن التى يمكن أن تضم نسخا منه ٠

ولمـا كان الباحثون المعنيون بموضـــوع الجـدل الاســـــلامى ـ المسيحى قد أجمعوا على أن المؤلف قد عاش فى القرن السـابع الهجرى (القرن الثالث عشر الميلادى) ، فقـد رجعنا الى الكتاب القيم « كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون » لمؤلفه : حاجى خليفة ، اذ هو أقرب المؤرخين لحركة التأليف عهدا بالحقبة التاريخية التى عاش المؤلف أثناءها عسى أن نجد فيـه اشـارة عن المؤلف أو صاحبه ٠

ولقد حالفنـا التوفيق عنـد الرجوع الى هذه الموسـوعة القيمة ، فقد ذكر صاحبها ، حاجى خليفة(١) ، اسم المؤلف كاملا ، وهو : أبو البقاء صـالح بن الحسـين الجعفرى ، كما ذكر الكتـاب تحت عنوان : تخجيل من حرف الانجيل ، لكنه لم يزد على ذلك شـيئا ، فهو لم يذكر شـيئا عن حيـاة المؤلف ولا عن خصائص كتابه ٠ ورغم ضـآلة المعلومات التى أمدنا بها حاجى خليفة عن حياة المؤلف وظروف تاليفـه لكتابه فانه أعطانا اسم المؤلف كاملا وأكد صحة نسـبة الكتاب اليـه ، وقوى لدينا الأمل فى وجود نسـخ منه فى المكتبات التى تحتفظ بمجموعات كبيرة من المخطوطات ٠

ثم كانت خطوتنا الثانية هى البحث عن مظان وجوده فى المكتبات ، وذلك بالرجوع الى موسـوعة أخرى لا تقل قيمة عن موسـوعة حاجى خليفة هى : تاريخ الآداب العربية للعالم الألمـانى بروكلمان ، فوجدناه يذكر وجود نسخ منه فى المكتبات الآتية :

---

(١) المجلد الثانى ، ص ٢٤٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ المتحف البريطانى ، قسم المخطوطات العربية ، تحت رقم :
أ ٠ د ٠ د ٠ ١٦٦٦١
٢ ـ مكتبة أياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م
٣ ـ مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، تحت رقم ٦
٤ ـ مكتبة داماد ابراهيم باستامبول تحت رقم ٤ (٢) ٠

وقد اكد بروكلمان وجود هذه النسخ بعنوان « تخجيل من حرف الانجيل » منسوبة الى العلامة ابى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ٠

لكننا لم نكتف باشارة بروكلمان ، واتجهنا الى موسوعة اخرى ، لعالم المانى آخر ، هو العلامة (Graf) ، فى موسوعة : تاريخ الآداب المسيحية العربية ، فوجدناه يؤكد ما ذكره بروكلمان(٣) ٠

وكانت خطوتنا الأخيرة فى هذا الصدد هى الاتجاه الى قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الاهلية ، بباريس ، حيث اطلعنا على فهارس المخطوطات العربية فى المكتبات التى اشار اليها كل من بروكلمان ، وجراف ٠ وعن طريق المكتبة الاهلية بباريس طلبنا نسخا « ميكروفيلم » لهذه المخطوطات الأربعة ، على أمل ان نحصل على نسخ متعددة لمخطوط واحد ، تساعدنا المقابلة بينها على معرفة النسخة « الأم » وعلى ابراز المخطوط فى حالة هى أقرب ما تكون الى الضبط والصحة ٠

غير ان دهشتنا كانت عظيمة عندما وصلتنا النسخ المصورة « ميكروفيلم » من المخطوطات الاربعة المذكورة ، فقد وجدنا ان اثنين من هذه المخطوطات ليسا سوى جزءين لمخطوط واحد احدهما هو المخطوط الموجود فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، ويحتوى على ١٨٤ ورقة والآخر ، وهو الجزء الثانى ، هو الموجود فى مكتبة داماد ابراهيم باستامبول ايضا ، ويحتوى على ١٨٨ ورقة ٠ اما المخطوطان الموجودان فى كل من مكتبة المتحف البريطانى ومكتبة اياصوفيا فليسا

---

(٢) راجع : Brockellman : Geschicht der arabishen. litterature I, 430. S, I, 766.

(٣) راجع : Graf : Geschicht der Christichen arabishen lntterature II, 389.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سوى ملخصين للمخطوط المذكور ، أولهما يحمل عنوان « الرد على النصارى » والثانى يحمل عنوانين ، أحدهما هو : « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وثانيهما هو : « كتاب العشر المسائل » ٠

لم نحصل اذن ، وبعد كل هذا المجهود ، الا على نسخة واحدة للمخطوط ، مكونة من جزءين ، وعلى ملخصين له ، هى كل ما احتوته المكتبات المعروفة من نسخ لهذا المخطوط ٠

* * *

● وصف كل من هذه المخطوطات :

١ ـ يتكون المخطوط الأصلى ، كما قلنا ، من جزءين ، يحتوى أولهما على ١٨٤ ورقة ، ويحتوى الثانى على ١٨٨ ورقة ، وكلاهما مكتوب بالخط الواسطى ، وتشتمل كل صفحة منهما على ١٧ سطرا فى المتوسط ، ويتكون كل سطر من ٧ كلمات تقريبا ٠ والخط الذى نسخ به كلا الجزئين ليس جميلا ، لكنه يقرأ بسهولة ، عدا بعض الكلمات أو العبارات الناقصة ٠ وبهامشه تصحيحات لبعض الكلمات أو الفقرات ، مكتوبة بخط مغاير لكنه واضح ، وهذه النسخة قد كتبت عام ٦٣٢ هـ ، كما هو ثابت فى الصفحة الأخيرة من الجزء الثانى منها ، لكنها لم تكتب بخط المؤلف ، وان كانت قد قرئت عليه ، اذ نجد فى نهايتها هذه العبارة : « قراها المؤلف غفر الله له » فهى تعتبر اذن النسخة « الأم » خصوصا اذا علمنا انها النسخة التى يقول المؤلف فى أحد ملخصاته لها : « انها النسخة التى أخذ عنها علماء الفسطاط نسخهم »(٤) ٠

٢ ـ مخطوط مكتبة المتحف البريطانى :

هذا المخطوط يحمل ، كما قلنا ، عنوانين أحدهما « كتاب الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وثانيهما « كتاب العشر المسائل » ٠

---

(٤) الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط للمؤلف ، ورقة ٣٠ (وجه) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو تلخيص للمخطوط الاصلى الذى فرغنا من وصفه . وهو موجود فى مجلد فخم يضم كتابا آخر ، هو « كتاب الأشربة » لابن قتيبة . والمخطوط الذى يعنينا مكتوب بخط واسطى جميل جدا ، وتحتوى الصحيفة على ١٢ سطرا ، بكل سطر ٥ أو ٦ كلمات . وصفحاته عددها ٢١٤ ، وهى محلاة باطار زخرفى متعدد الالوان . اما حالته فهى جيدة جدا وقل ان تجد به خطأ .

٣ ـ مخطوط مكتبة مسجد آياصوفيا :

يحمل هذا المخطوط العنوان الآتى : « كتاب الرد على النصارى » فى اطار زخرفى جميل ، وهو كسابقه ، تلخيص للكتاب الاصلى « تخجيل من حرف الانجيل » . وهو مكتوب بالخط الواسطى الجميل ، ويتألف من ١١٤ ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة يتراوح ما بين ١١ ، ١٢ سطرا ، ويشتمل السطر على ٦ أو ٧ كلمات . والخطاؤه نادرة ، ومصححة بالهامش بخط يغلب انه خط الناسخ .

ويعالج هذا المخطوط سبع مسائل ، مذكورة فى الصفحة المقابلة للعنوان ، ومرتبة على النحو التالى :

١ ـ المسالة الأولى فى الرد على من زعم ان المسيح ابن الله .
٢ ـ المسالة الثانية فى ابطال الاتحاد .
٣ ـ المسالة الثالثة فى ابطال دعوى القتل .
٤ ـ المسالة الرابعة فى ابطال دعوى الثالوث .
٥ ـ المسالة الخامسة فى تناقض الانجيل .
٦ ـ المسالة السادسة فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام .
٧ ـ المسالة السابعة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .

وقد عمد الناسخ الى كتابة عنوان كل مسالة فى اطار منفصل بعد فراغه من نسخ موضوع المسالة السابقة ، فجاء هذا المخطوط غاية فى التنسيق مما يساعد القارىء والباحث على الاتجاه رأسا الى المسالة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى يريد الاطلاع على راى المؤلف فيها دون عناء ، مما لا يتيسر للباحث عند قراءته لكثير من المخطوطات الأخرى ٠

والمخطوط الذى سنقوم ، بعون الله ، بدراسته والتعليق عليه هو هذا المخطوط الأخير ، المعنون : « كتاب الرد على النصارى » والموجود بمكتبة اياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م ٠

وقد يتساءل القارىء ، وله الحق فى هذا التساؤل : لماذا لم نقم ، كما هو المعتاد ، بتحقيق الكتاب الأصلى « تخجيل من حرف الانجيل » وعمدنا الى تحقيق ملخص له ؟ ونقول اجابة على هذا التساؤل :

اولا ـ ان الكتاب الأصلى قد حرره المؤلف عندما كان شابا ، كما ذكر هو ذلك صراحة فى معرض تبريره لاخراج ملخص له بعد ذلك(٥) ٠ ومعنى ذلك ان المؤلف ، بعد مرور فترة من تاليفه لم يعد مقتنعا به على الوضع الذى كان عليه فبادر باعادة تحريره ، محتفظا فى النسخة الجديدة بما رآه اساسيا ومفيدا فى موضوعه ، طارحا كل ما رآه غير مفيد ، من حشو يبدو مشتتا للفكر ، ولا يساعد على وضوح الموضوع ٠ وقد اعترف المؤلف نفسه بوجود حشو فى كتابه الأصلى وذلك بطريقة غير مباشرة ، عندما ذكر انه انما حرره فى زمن الشباب ، اى فى زمن اختلاط الفكر وتشويشه وعدم وضوحه ٠

ثانيا ـ اننا نقرا فى نهاية الجزء الثانى من المخطوط الأصلى عبارة « مسودة » مكتوبة بخط مغاير لخط الناسخ ٠ ونحن لا ندرى ما اذا كانت هذه العبارة قد كتبها المؤلف نفسه بعد تحريره للملخص الذى بين ايدينا ليرفع الثقة عنه ، اى عن المؤلف الأصلى ام انها قد كتبت بخط احد المطالعين للمخطوط ممن يعرفون وجود ملخص له ، فاعتبر المؤلف الأصلى « مسودة » جمع فيها المؤلف افكاره مشتتة غير محررة ، ثم اعاد تحريرها بوضوح وتلخيص وتركيز بعد ذلك ٠

---

(٥) راجع : « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى رقم ١٦٦١٦ » ورقة ٣ (وجه) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما يكن من أمر ، فقد جرى العرف العلمى بين المحققين للمخطوطات على اعتبار وجود عبارة « مسودة » فى أحدها كافيا للتحفظ وعدم الاقدام على تحقيقه الا عندما يضيع الأمل فى العثور على نسخة أخرى لا تحمل هذه العبارة . ونحن غير مضطرين لذلك ، اذ لدينا ، لحسن الحظ ، مخطوطان آخران كتبهما المؤلف تلخيصا لهذا المؤلف الأصلى مما يضعه ، فوق كونه « مسودة » فى المرتبة الثالثة من حيث الأحقية بالتحقيق .

ثالثا ـ ان المخطوط الذى بين أيدينا هو آخر مختصر وضعه المؤلف لكتابه الأصلى ، فهو من هذه الناحية يعتبر بمثابة الطبعة الأخيرة ، أو الكلمة الأخيرة له فى الموضوع ، وكونه بهذه الصفة يجعله وحده محل اعتبار الباحثين ، اذ هو ـ وحده ـ الذى يعبر ، تاريخيا عن وجهة نظر المؤلف فى الموضوع .

واذا كان جهدنا قد انصرف الى تحقيق هذا المخطوط ، فاننا لن نغفل القيمة والفائدة الكامنتين فى المخطوطين الآخرين ، بل اننا سنرجع اليهما اذا حدث أن توقفنا أمام بعض النصوص أو العبارات التى قد تكون غامضة ، أو لمعرفة الأسباب التى حدت به الى تحرير كتابه ، والظروف التى أحاطت بتأليفه . ونعتقد أن فائدتهما من هذه الناحية ستكون كبيرة ، لأن المؤلف لم يترك ـ على ما يظهر ـ من أثر ينم عن شخصيته سوى ما ذكره عن نفسه أو كانت له دلالة من عبارات متفرقة فى طيات هذه المخطوطات الثلاثة .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤلف

(١) شـــخصيته :

نجد اسم المؤلف مكتوبا بكامله تحت عنوان هذا المخطوط الذى بين أيدينا ، فهو : أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى .

لكننـا نجـده مسـبوقا بألقاب كثيرة تحت عنوان المخطوط الأصلى ، اذ نقرأ هناك : « الشـيخ الفقيه ، والامام الفاضل ، تقى الدين ، صالح ابن الحسين الجعفرى » .

ورغم ما توحى به هـذه الألقاب من أن صاحب الكتاب شـخصية معروفة ومرموقة فاننا لا نجد له ذكرا فى كتب التراجم اللاحقة لـه ، ككتاب : الآثار الباقية فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى ، أو فى كتب الجدل الاسـلامى ـ المسـيحى المتأخرة ، والتى عنى أصحابها بالرد على النصارى بنفس الأسلوب الذى اتبعه صالح بن الحسين ككتاب : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، وكتاب : الأجوبة الفاخرة ، للقرافى . كذلك فان شخصيته ظلت غامضـة بالنسـبة لمؤرخى الجـدل الاسـلامى ـ المسـيحى من الغـربيين ، فقد نشر العالم الألمانـى « ف . تريبس » (F. Teiebs) مقالا(١) تعرض فيه لمحتوى مخطوطه المعنون : كتاب العشر المسـائل ولم يذكر شـيئا عن حياة مؤلفه ولا عن نشـاطه العلمى . كذلك فقد نشر « فان دن هام » (Van den Ham) كتابا لأبى الفضل المالكى السعودى يرد فيه على النصارى ، لخص فيه كتاب التخجيل لصالح بن الحسين وذكر اسمه دون أن يذكر شيئا عن حياته(٢) .

أما جراف (Graf) فقد ذكر أن صالح بن الحسين الف هذا الكتاب ردا على النصارى الأقباط بمصر لتأليفهم كتابا ينتقدون فيه المسلمين بعنوان : الصائح فى جواب النصائح(٣) .

---

(١) نشر هذا المقال الصغير فى بون عام ١٨٩٧ بعنوان : عشر مسائل موجهة ضد المسيحيين .

(٢) نشر هذا الكتاب فى بون عام ١٨٧٧

(٣) Graf, op. cit., II, p. 389.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما بروكلمان (Brockelleman) فقد اكتفى بقوله عند الحديث عن صالح بن الحسين أنه نبغ عام ٦١٨ هـ .

واذا كنا لم نعثر فى كتابات المؤلفين المعنيين بالموضوع على شىء ذى بال فيما يتصل بحياة هذا المؤلف العملية ، فاننا نستطيع من خلال كتاباته هو أن نعرف شيئا عنها .

كان صالح بن الحسين يعيش فى الفسطاط بمصر ، ويختلف الى مجالسها العلمية كواحد من علمائها ، حيث كان الحديث يتناول شتى قضايا العلم المعروفة فى زمنه (القرن السابع الهجرى) ، من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأديان ، بما فى ذلك النصرانية وعقائدها وكتبها وتعاليمها . ويبدو أن المؤلف كان مشهورا بين العلماء المختلفين الى هذه المجالس بمعرفة عقائد المسيحية هذه ، الأمر الذى حدا بهم الى أن يطلبوا منه كتابة مؤلف يبين فيه خطأ اعتقادات النصارى ، ويدعوهم - عن طريق تدبر كتبهم ذاتها - الى الاعتقاد الحق فى عيسى ورسالته .

يقول المؤلف فى بداية كتابه « تخجيل من حرف الانجيل » : « حضرت محفلا تحفل بالعوارف خلافه ... فأذاعوا مزيد الفوائد .. وافاضوا فى العلوم الدينية واضافوا الى ذلك ذكر الأمة النصرانية . فتعجب من حضر ، كيف زلت بهم القدم ، حتى اعتقدوا اتحاد العدم بالقدم ... واذا كان النصارى قد أتوا من قبل الالفاظ ، وعدم الحفاظ ، فتعين على من له دربة بهذا الشأن حل اشكالهم ، وفك الشبهات التى اعانت على ضلالهم . فزعم جماعة انى عارف بكتبهم ، خبير بمخاريقهم وكذبهم ..... وقالوا : لو ابرزت لنا تكون على الحق علما ؟ .. فأجبتهم لوجوب حقهم ، ورجوت الحيا عند وميض برقهم »(٤) .

هذا ما ذكره المؤلف عن نفسه ، ولا نعرف عنه شيئا غيره على

---

(٤) ورقة ٣ (وجه) وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجه الدقة . لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته ، غير أنه يمكننا أن نرجح أنه قد ولد فى أواخر القرن السادس الهجرى ونعتمد فى هذا الترجيح على عبارة وردت فى الحد كتابيه اللذين اختصر فيهما مؤلفه الكبير الذى تحدثنا عنه . فقد ذكر فى كتاب « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » أمر رسالة بعث بها امبراطور الروم عام ٦١٨ هـ الى الملك الكامل ، وأن الملك قد كلفه بالرد عليها ، وأنه فى هذا الوقت كان فى مرحلة النضج من عمره ، بعد أن تجاوز مرحلة الشباب(٥) . ونستنتج من هذه العبارة أن عمره فى ذلك الوقت (عام ٦١٨ هـ) كان قرابة الأربعين اذ أن هذا السن هو بداية سن النضج . واذا كان عمره عام ٦١٨ هـ يقارب الأربعين فانه يكون قد ولد فى نهاية القرن السادس الهجرى . كذلك فاننا نستطيع أن نجزم بأنه قد توفى بعد عام ٦٣٢ هـ ، ذلك أن ناسخ مؤلفه الأصلى « تخجيل من حرف الانجيل » قد سجل عليها هذا التاريخ ، وذكر أنه قرأها على المؤلف ، الأمر الذى يعنى أنه ظل على قيد الحياة بعد هذا التاريخ مدة نجهل مقدارها ، ويشاركنا فى هذا الجهل كل من عنوا بالحديث أو النقل عنه .

واذا كان عدم معرفة تاريخ ولادة العلماء مقبولا ، نظرا لعدم العناية ـ الا فيما ندر ـ بتسجيل تاريخ الولادة فى الماضى ، فان عدم معرفة تاريخ وفاتهم يبدو غريبا ، فالآثار العلمية التى يخلفونها ، والتلاميذ الذين يلتفون حولهم وينقلون عنهم ويتعلمون على أيديهم ، وما يتبع ذلك من شهرة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كل ذلك يجعل من يوم وفاتهم يوما مشهودا ، يسجله المؤرخون ويعيه من يجىء بعدهم . وهذه الظاهرة قد صاحبت معظم علمائنا القدامى ، فمع أنه يندر معرفة تاريخ ميلاد أى منهم ، فانه يندر أيضا جهل تاريخ وفاته . بيد أن هذه الظاهرة قد تخلفت فيما يتعلق بالمؤلف الذى نحن بصدده ، اذ رغم شهرة مؤلفاته ، وترجمة أجزاء منها الى لغات غير العربية ، واهتمام كثير من الباحثين فى آثار الماضى بالنقل عنه ، كما رأينا ، فانه ظل مجهولا حتى من هؤلاء الباحثين أنفسهم ، مما يجعلنا نتساءل عن السر فى ذلك .

---

(٥) ورقة ٢ (ظهر) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد يكون موضع السر فى ذلك هو نزوح المؤلف عن مصر فى آخر حياته الى قطر اسلامى آخر وافته به المنية قبل ان يذيع صيته فيه . وقد يكون السر فى ذلك عدم مواتاة الحظ له ، فالشهرة ، فى جانب كبير منها ، ترجع الى الحظ اكثر منها الى اى عامل آخر . وكم استخرج الباحثون من زوايا المكتبات اعمالا قيمة لمؤلفين لم يكن يعرف عنهم احد شيئا .

غير اننا نرجح ان يكون السبب فى عدم شهرته هو عدم نبوغه فى اى علم من العلوم الاسلامية الخالصة ، كالفقه والحديث والتفسير ... الخ ، فهذه العلوم هى التى كانت تحظى بانتباه المجتمع ، وتشد انظار المؤرخين الى النابغين فيها . أما النبوغ فى معرفة كتب اهل الكتاب وطرق الرد عليهم فلم تكن - وحدها - كافية ليكتسب صاحبها الشهرة . فالناس ، اقصد معظمهم ، لا يعنيهم امر اهل الكتاب فى قليل او كثير . لقد كتب الجاحظ رسالة قيمة فى الرد على النصارى ، لكنها لم تكسبه شهرة أو ذيوع صيت ، بل ظلت مهملة حتى حققها فنكل (Fankel)فى مصر ، وانما استمد الجاحظ شهرته من مؤلفاته الأخرى التى كانت تشد انتباه المجتمع كالبيان والتبين ، والحيوان ، وغيرهما . كذلك فقد كتب امام الحرمين الجوينى كتابه شفاء العليل فى نقد النصرانية ، وظل هذا الكتاب مطمورا حتى حققه الارد (Allard) اخيرا . وألف الغزالى كتابه « الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل » ، ولكنه ظل هو الآخر مطمورا لم يكسبه شهرة ، لفترة طويلة . فهؤلاء الأعلام من مفكرى العالم الاسلامى لم يكونوا ليعيهم التاريخ لو انهم قصروا مجهوداتهم الفكرية على نقد المسيحية وبيان تداعى الأسس التى قامت عليها . فلما لم يكن لمؤلفنا ، صالح بن الحسين ، اثر فكرى مكتوب فى احد ميادين العلوم الاسلامية الخالصة ، بقى مغمورا لا يعى التاريخ عن حياته الخاصة شيئا .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(ب) سبب تأليف الكتاب :

رغم أن هذا المخطوط هو اختصار لمؤلف آخر أكبر منه فان صالح بن الحسين لم يعمد الى هذا الاختصار رغبة منه فى الدقة والوضوح والضبط ، كما أسلفنا ، فقط ، بل لقد جدت ظروف اضيفت الى الدواعى السابقة ، فاقتضت جميعها معاودة الهجوم على النصارى ودحض دعاواهم الدينية . وقد أشار المؤلف الى هذه الظروف الجديدة فى بداية المخطوط بقوله : « وقفت على مسائل ذكر أن الفرنج بعثوا يمتحنون بها أهل الاسلام فنظرت فيها ، فاذا هى خالية عن الفوائد الدينية ، عاطلة عن المنافع الدنيوية ، اقرب الأشياء شبها بخرافات النسوان وترهات الولدان ، كسؤالهم عن الماء : هل له طعم أو لون أم لا ؟ وعن السحاب والمطر والثلج ما هو ؟ وعن الأحلام والمنامات : أى شىء تكون ؟ وعن الجنين : هل هو مخلوق من ماء الرجل أم من ماء المرأة ؟ أم من ماءيهما ؟ وما السبب فى أن بعض الحيوانات كثيرة الأولاد دون بعض ؟ مما هو صفر من الفائدة ، خلى من الحكمة »(٦) . لقد انتهز المؤلف هذه الفرصة فاختصر مؤلفه الكبير الى المؤلف الذى بين أيدينا ، ليكون أكثر وضوحا ودقة من جهة ، وليكون ردا على هذه الأسئلة التى بعث بها النصارى من جهة اخرى ، ومن هنا يأتى سبب تسميته : « الرد على النصارى » .

غير أن الذى يقرأ المخطوط لا يجد فيه ردا على هذه الأسئلة ، بل نقدا لعقائد النصرانية ، فكيف استساغ المؤلف أن يسمى هذا ردا ؟

يبدو أن المؤلف قد شعر بهذا الخلف ، فأجاب عنه باجابات ثلاث : الأولى هى أن هذه الأسئلة التى بعثوا بها « صفر من الفائدة » وأنه قد تولى الاجابة عنها بطريقة مباشرة « جماعة من ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء »(٧) . والثانية هى أن هؤلاء القوم « غلف الألسن ...

---

(٦) الرد على النصارى ، ورقة ١ (وجه وظهر) .

(٧) الرد على النصارى ، ورقة ٣ (وجه وظهر) .